Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكرة: هذا الجمال كان موجوداً دائماً منذ الأزل، منذ وجدت الخليقة. هذا الإحساس بعينه هو ما شعرت به وأنا أصغي إلى الراهب. إن كلامه الذي أسمعه أول مرة ليس مع ذلك جديدا عندي أين سمعته؟ ومتى؟ أفي الطفولة؟ أفي الحلم؟ أقبل أن ولدت، وتولدت في نفسي عقيدة أن هذا الكلام هو الحق، إذ لا أتصور بدء الوجود بدونه ولا انتهاءه بدونه[1].

هذا النص يأخذ دلالة حوهرية، فمن ناحية، نلتقي فيه بالبداية الحقيقة لبذور الرؤية التي يقيم توفيق الحكيم على أساسها هذه المسرحية. وكون إيمان «يمليخا» الراعي قائم على الإدراك الفطري لذلك الجمال الازلي، أو لتلك الحقيقة الأبدية دون أن يبحث لها عن تعليل يرمز إلى مرحلة الفطرة التي تنجذب من تلقاء نفسها إلى المجهول وهذا له دلالته من وجهة نظر الحكيم، وهو يشير إلى ارتباط الإنسان بالمجال الغيبي والميتافيزيقي. ومن ناحية أخرى فإن توفيق الحكيم يتخذه بداية فنية في تحديد العناصر البنائية للشخصيات، وإرهاصا بوظيفتها الرمزية داخل هذا العمل الفني، حين يضعها إزاء هذه الحقيقة التي يتحدث عنها يمليخا. إن «مرنوش» الذي يمثل العقل يرفض ما يقوله الراعي:

مرنوش: أقول إن هذا الراعي يتكلم هراء، ولا أفهم ما يقول[2].

وإنما يفهم فقط تلك العلاقات المادية، القائمة على العقل والمواصفات الاجتماعية:

ميشلينيا: أنت لا تفهم شيئا سوى أنك غبت ليلة عن امرأتك وولدك[3].

(١) توفيق الحكيم، أهل الكهف، ص ١٦ - ١٨.
(٢) توفيق الحكيم، أهل الكهف، ص ١٨
(٣) نفس المصدر، ص ١٨.